أفاق التعليم في الجزائر في ظل تحديات العولمة

The future of learning in algeria

د. جودي علي

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

a.djoudi@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/03 تاريخ القبول:2022/02/11 تاريخ النشر: 2022/06/30

الملخص:

يتناول المقال دور التعليم والمنظومة التربوية في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل تحديات الراهن وتشريحا لمختلف المعطيات بالتحليل والتمحيص. وتقديم الحلول والمخرجات لمواجهة هذه التحديات واقتراح استراتيجيات عملية لتطويق مختلف العوائق والصعوبات على المستوى السوسيوثقافي والإيديولوجي و الأخلاقي للمجتمع، واستعراض أساليب تفعيل دور التعليم باعتباره دعامة للهوية الثقافية للمجتمع و كيفية إعادة الاعتبار لثوابت الأمة و مقوماتها الأساسية و آليات التكيف مع مقتضيات الفكر المعولم.

الكلمات المفتاحية : التعليم ، الهوية ، الثقافة ، المجتمع ، الإستراتيجية.

ملخص باللغة الانجليزية :

This article aims to show the role of education to preserve the cultural identity of our nation against the globalization conquest,

then to bring suggestions and strategies to stand against its harmful consequences. Our purpose is to show how the globalization influences on our cultural heritage and threats the fundamental principles.

Key words: Globalization, Identity, Education, Society, Strategy.

مقدمة:

لقد أصبح جلياً أن قضية المناهج التعليمية لم تعد شأناً داخلياً ترتبه الحكومات متى وكيف شاءت، وتهمله أو تؤجله متى أرادت، وإنما أصبحت شأناً عالمياً في ظل ثقافة العولمة وبفعل أدواتها، وأصبحت في منطقتنا العربية والإسلامية قضية ذات أبعاد ثقافية واقتصادية وسياسية، بل وربما عسكرية إن لزم الأمر. إنّ النظر إلى التربية بمختلف إجراءاتها ووسائطها يعتبر إحدى المصادر الأساسية للقوة بالنسبة للفرد والمجتمع، وهذا ينسحب على كافة المجتمعات القديمة والمعاصرة، المتقدمة والنامية، وان تفاوتت درجة الاعتماد على عمليات التربية باعتبارها مصدرا للقوة، ومن هنا كان الاهتمام جدّ واسع في توفير فرصة للتربية بشتى صورها وذلك من منطلق الإيمان بأنّه كلما نمت قدرات الفرد وإمكانيته أدى ذلك إلى تقدم المجتمعات وقوتها، ولعلّ تجارب الأمم الأكثر تقدما وتطورا في هذا الصدد تمثل الدافع الأساسي الذّي جعل الأمم والمجتمعات الأحدث تحذو حذوها معتمدة على التوسع في التعلم كما وتحسينه كيفا.

وهكذا أصبحت الدول النامية، أو ما يطلق عليها دول العالم الثالث تسعى جاهدة ولاسيما بعد أن تحررت سياسيا للانطلاق في عملية التنمية الشاملة مرتكزة في ذلك على التنمية والتعليم بصفة خاصة. ولكن هذه المجتمعات النامية كثيرا ما تواجه في سعيها هذا

الكثير من المعوقات والمشكلات التي ليست بالضرورة ذات صبغة تعليمية بحتة، وإنّما عادة ما تكون مشكلات وعقبات اجتماعية بالمعنى العام للكلمة.

وعلى هذا الأساس فإنّ أهم شيء في أي إصلاح تربوي أو اجتماعي إنّما يتمثل في مدى إتباع الأسلوب في التفكير والتنفيذ والتربية كعملية وممارسة موضوعها الإنسان في صورته الاجتماعية وهي تستند إلى أصول وقواعد وتحكمها نظريات وأساليب تستند على أسس علمية. فعملية التربية في أي مجتمع تستهدف في المقام الأول إسعاد الفرد والارتقاء بالمجتمع، وعليه فالعلاقة وثيقة بين التربية والمجتمع بكل ما يمثله من حركة وانساق ونظم وظواهر ومشكلات وما إلى ذلك من مكونات. ولمّا كانت التربية هي صانعة الإنسان، فهذا يحتم علينا فهمها في إطارها الشامل، من أجل تطوير عمليات البحث العلمي، وتجديد طرق التعليم وتطويرها وفق متطلبات العصر، وكذلك من أجل القضاء على الأمية .

إنّ مسألة التربية هي مسألة مهمة في مجتمعنا، وعلى أساسها يكتسب التعليم أهمية كبري، وإذا ما تطلعنا على الخارطة السياسية العالمية نجد أن لكل دولة إستراتجيتها التنموية، والمفروض أن كل دولة تكيف وتبرمج موادها التعليمية على هذا الأساس وباعتبار الجزائر دولة نامية تحاول أن تصنع لنفسها مكانة عالمية، فالأمر يصبح مرتبطا بضرورة تكييف التربية والتعليم وفق متطلبات العولمة.

كما نجد أنّ تطوير التعليم هو حلم معاصر لكل دولة لأنّه يمثل الوعي الاجتماعي، فالإنسان المتطور لا ينشغل بالأمور المادية وإنما بالفكر والوعي، وبالتالي يجب بناء فلسفة تربوية تقوم عليها سياسة المجتمع، وكذلك إقامة التوازن بين الكم والكيف، وبين أهداف التربية وبين إعداد الفرد القيمي والتربوي والوطني، وذلك لا يتم إلا بإصلاح المنظومة التربوية الوطنية، ومن هنا نطرح مجموعة من الإشكاليات:

ما مصير التربية والتعليم في الجزائر في ظل تحولات العولمة؟

كيف تساهم مدرسة المستقبل التعليمية في التنمية الاجتماعية؟

ما هي مشاريع الإصلاح والتجديد المبرمجة للحد من الأزمة التربوية في الجزائر؟

مفهوم التربية:

يعد مفهوم التربية من أكثر المفاهيم التربوية شمولا وعمومية، وله العديد من المعاني والدلالات من حيث الدلالة اللغوية ترادف التربية لفظ "التنمية"، وعلى هذا الأساس تصبح علاقتها بالمدرسة علاقة محدودة، وليس علاقة مطلقة وكما هو الشائع. لأن" التربية تبدأ والإنسان جنين في بطن أمه، وهي تمتد معه طوال حياته، لأن حياته تعني احتكاكه وتفاعله بالنّاس والأشياء، يؤديان إلى (تعديل) في السلوك على نحو من الأنحاء "(1) (فايز مراد دندش: ط1 2003،ص249.)

وقد يكون هذا التعديل إمآ إلى الأحسن، أو إلى الأسوأ، ولكنّه في الحالتين تعديل، وهو تعديل ناتج عن تربية، قد تكون مقصودة مثل التربية المدرسية، أو غير مقصودة مثل التربية اللامدرسية في الشارع أو المسجد مثلا .وعادة ما ينظر إلى علم التربية على «أنّه علم تطبيقي، على أساس أنّه علم يطبق أو يوظف المبادئ و القوانين المأخوذة من علوم أخرى (مثل علم النفس، علم الاجتماع، وعلم الإدارة، وعلم الاقتصاد..الخ) لصالح تنمية الشخصية الإنسانية بكافة جوانبها » (2) (حسن حسين زيتون ،ط1 1997،ص53، 54.

ومنذ القديم اختلفت تعريفات التربية ففي العصر الإغريقي مثلا حددت التربية على أنها الكمال والجمال للجسم وللنفس البشرية، وكذلك بأنّها العملية التي تعد الإنسان للتعلم،

وتعددت بعدها التعريفات، وفي العصر الحديث نجد أن أكثر التعريفات تداولا هو تعريف " جون ديوي " حيث يرى أن التربية «ليست سوى خبرة تنشأ عن خبرة، إلى مزيد من الخبرة، وهو يربط بين الخبرة والنمو على أساس أن زيادة الخبرات تؤدي إلى زيادة النمو » (3) (فايز مراد دندش ،ص251.)، فالنمو هو هدف التربية في رأي "جون ديوي."

وتتجه التعريفات الحديثة للعملية التربوية إلى تأكيد المعنى الخاص بأنها " عملية تنمية الشخصية الإنسانية في جميع مجالاتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية عن طريق إحداث تغير موجه أثناء تفاعل الفرد مع بيئته، في سبيل تحقيق أهداف محددة "(4) المرجع السابق: ص151، وبعدما حاولت حصر مفهوم للتربية، سأحاول حصر مفهوم التعليم، لارتباط التربية بالتعليم، فقبل أن يكون هناك تعليم تأتي التربية.

1 – مفهوم التعليم:

يكشف مفهوم التعليم الكثير من الغموض واللبس، فيخلط البعض بينه وبين مصطلح التربية، وخاصة أن كليهما يشار إليه بالانجليزية بكلمة واحدة Education " ."ويشير مفهوم التعليم إلى عملية تربوية التي تتم داخل وسائط التربية النظامية، وبالتالي يصبح مفهوم التعليم يرادف التربية النظامية، وبدقة أكثر " فإنّ مفهوم التعليم يشير إلى العملية التربوية، ولنسميها الآن العملية التعليمية التي تتم داخل المؤسسات التعليمية الرسمية (المدارس، المعاهد، الجامعات، مراكز التدريب...الخ (5) (حسن حسين زيتون –ص 55.)

2 – الفرق بين التربية والتعليم:

إنّ المقصود بالتعليم هو اكتساب معرفة أو تعلم مهارات وبهذا المعنى يصبح التعليم جزءا من التربية، التي يتسع مفهومها ليشمل جميع المؤشرات والخبرات والوسائط التي تؤثر

في سلوك الناس، وهذا التأثير يكون داخل المدرسة أو خارجها، سواء كانت التربية مقصودة أو غير مقصودة وبهذا فإنّ التربية هي أشمل من التعليم والسبب في ذلك أنّها تحدث في المجتمع ككل، والمدرسة هي جزء من المجتمع بعدما حاولنا رصد مفهوم التربية والتعليم، سأحاول أن أتحدث عن التربية والتعليم في الجزائر إزاء متطلبات العصر ورهانات العولمة، وبما أنّ التربية ارتبطت بالتنمية، فتصبح العلاقة وطيدة مع المجتمع أي التنمية الاجتماعية التي تقوم على مجموعة من الاستراتجيات، حيث حاولت الدولة الجزائرية منذ الاستقلال برمجة المرافق التعليمة وفق مبادئها الديمقراطية، فعملت على إنشاء المدارس،و الثانويات، والجامعات، والمعاهد، ومراكز التكوين بغرض إعداد فرد جزائري يكون قادرا على تنمية المجتمع وجعل الدولة في مصاف الدول المتقدمة لأنّ المجتمع المتعلم لا يستعبد أبدا، وقد رصدت الدولة ميزانيات خاصة للإشراف على هذه المرافق التربوية، و قد حاولت الدولة بعد الاستقلال تخصيص مجموعة من الوزارات المسؤولية على التربية والتعليم، والمعروفة اليوم بوزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

وقد أخذت الجزائر على عاتقها مجانية التعليم، في كافة الأطوار، وهو أمر متميز، مع الإشراف والمتابعة المالية لكافة البحوث والمشاريع والبعثات العلمية. والغرض من هذا هو إحداث تنمية مستقبلية يلعب فيها التعليم دورا أساسيا لأنّه يعتمد على التنمية البشرية في الأساس، التي تقود إلى تنمية اجتماعية. فالتعليم هو حلم معاصر لكل دولة، لأنّه يمثل الوعي الجماهيري والهدف منه تكوين مجتمع متعلم، والتخلص من توابع الأمية، فحقيقة الإنسان المعاصر اليوم هو الانشغال بأمور الفكر والوعي.

لكن عندما نعمد إلى المقارنة بين التعليم في الجزائر والتعليم عند الآخر ، أي الغرب المتطور نجد أن مسألة التفكير تختلف ففي الوطن العربي في الجانب التعليمي تبرز السياسة وهي من اختيارات السلطة ففي الواقع نجد أن الوطن العربي يمتلك مصادر كبيرة للدخل،

ولكنه بالمقابل يستورد كل شيء وإذا ما نظرنا إلى المجتمعات المتقدمة نجدها في حقيقتها مجتمعات تربيتها متقدمة وبالمقابل فالمجتمعات المتخلفة هي في حقيقتها مجتمعات تربيتها متخلفة «ولا جدال في أن مصير أي دولة يتوقف على الكيفية التي تعد بها أجيالها تربويا، وتعليميا خلال السنوات القادمة» (6)، (كوثر كوجك ، 2001، ص73). وبالتالي عندما نتحدث عن التربية و التعليم في الجزائر فإننا نعني التربية من نوع خاص، وتعليما من نوع جديد يتوافق ورهانات القرن، التي تحتم تهيئة الفرد، وبالتالي المجتمع لحقائق جديدة، ومتغيرات، وديناميكيات، وقيم أخلاقية مغايرة تماما لتلك التي ألفناها كمقومات لحياتنا المعاصرة وهذا يذكرنا بقول على بن أبي طالب رضي الله عنه» :لا تربوا أولادكم على أخلاقهم، فإنّهم خلقوا لزمان غير زمانكم« ، إذن ضرورة اللحظة الحضارية، ومتطلبات العولمة تحتم علينا تكييف التربية والتعليم وفق متطلبات هذا العصر، مع تخطيط المسبق لتكوين وإنتاج فرد متطور، مهنته إقامة جزائر متطورة.

3– واقع التربية والتعليم في الجزائر:

إذا ما تطلعنا إلى واقع التربية والتعليم في الجزائر، سنجده يعاني من عدة أزمات، السبب الرئيسي فيها يعود إلى سوء التخطيط التربوي، وعدم وضع إستراتجيات تربوية مستقبلية، تقوم على تهيئة فرد متطور، قادر على صنع جزائر متطورة. فالمتأمل في المناهج الدراسية في منظومتنا التربوية العربية بصفة عامة، والجزائرية بصفة خاصة سيجدها تنتصر لنوع من النصوص لأدباء وكتاب معينين قرأتها كل الأجيال العربية تقريبا، وبالتالي فالنظرة التربوية للبرامج التعليمية ما تزال نظرة تقليدية عموما في الوطن العربي، وهي قد كرست نوعا من القراءة التقليدية، وبهذا فهي تقولب فكر المتعلم في المراحل التعليمية المختلفة بما فيها المرحلة الجامعية، في قوالب جاهزة لا تمكنه من الكشف والتحليل وإبداء الرأي.وبالتالي فلمواجهة التحديات الراهنة المرتبطة بعصر العولمة، على الجزائر أن تعيد برمجة إستراتجياتها

التربوية وفق مخططات مستقبلية من شأنها تغيير طرق التربية والتعليم وجعلها أكثر معاصرة، من أجل مواكبة التعليم العالمي، القائم على خلق وإنتاج فرد متعلم تعليما معاصرا، وحامل لفكر متطور قادر على إقامة نهضة وتغيير .

4- أهم تحديات العولمة المرتبطة بتطور التربية والتعليم في الجزائر:

إن بروز ظاهرة العولمة يؤثر في ميدان التعليم كما يؤثر في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية ذلك أن النظام التربوي التعليمي مرتبط بالعولمة ويحتكم إلى عملية التأثير من خلال تفاعله مع البيئة المحلية امتدادا إلى تأثير النظام العالمي على أنظمة المجتمع الواحد من خلال التغيرات العالمية في عالم السياسة والاقتصاد والتطور التكنولوجي والحضاري.

وبما ان النظام التربوي التعليمي نظام مفتوح يتأثر بمجمل التغيرات المختلفة التي تحدث في العالم وهذا التأثير ينعكس على جميع عناصر النظام مدخلات وعمليات ومخرجات والإدارة يعول عليها في تحسين العملية التربوية ومن صلب أهدافها جعل النظام التعليمي متكيفا مع متطلبات العصر، لا شك ان العولمة تحمل في طياتها آثارا على ما هو قائم حاليا ومنها ما يكون تأثيره مستقبلا يرسم معالم الغد وانعكاساتها قد تكون ايجابية وقد تكون سلبية ولكننا حتى الآن لم نرَ آثارها بوضوح كامل لان حركة العولمة لم تكتمل بعد فواصل تطبيقها.

تؤكد كثير من الدراسات إلى ضعف أداء المؤسسات التربوية والتعليمية العربية في إعداد المعلمين وتأهيل الفتيات والشباب ثقافيا وتربويا ولذلك تمت إعادة النظم التعليمية وتغيير المناهج لإنتاج نفسها وتساير التطور المعرفي والحضاري للعولمة التي تجري سريعا حيث

لم يعد التعليم التقليدي هو المصدر الوحيد للعلم والمعرفة ولم يعد المعلم هو الناقل لها فقط هناك مصادر متعددة للأدوات المعرفية علينا ان نتهيأ ونهيأ لها ونهيئ أبناءنا لها.

والعولمة تعني الهيمنة وتمثل مرحلة ابعد من النظرة الأوروبية السابقة التي ترى ان التاريخ ينتهي في التاريخ الأوروبي وان الحضارة الغربية هي قمة تطور البشرية والعولمة تعني الأمركة والهيمنة الأميركية ونمط الحياة الأميركية اليوم في اللباس والأطعمة السريعة''الهامبوركر– والماكدونالد '' والمشروبات الكوكولا والببسي كولا واللباس الجينز والكابوي وغيرها من السلع الاستهلاكية.

لقد اختلفت الآراء حول العولمة الثقافية فهناك من يرفض و هناك من يقبل إمكانية عولمة الثقافة، فالبعض يقول بأن الثقافة لا تعولم و أن أية عولمة هي في حقيقة الأمر هيمنة لثقافة معينة على الثقافات الأخرى، و هذه الهيمنة تستند إلى قوة من خارج مجال الثقافة سواء كانت مستمدة من مجال التكنولوجيا أم الاقتصاد أم القهر السياسي، و يقول البعض الآخر باستحالة قيام ثقافة معولمة فبالرغم من انتشار العولمة في مجالات أخرى فلن تمتد إلى مجال الثقافة، و يتوقع آخرون وجود نوعية جديدة من العلاقة بين العولمة و الثقافة التي لا تقوم على هيمنة ثقافة واحدة فقط و لا التنوع الثقافي فحسب.و هناك من يرى بأن العولمة الثقافية ما هي إلا توحيد القيم حول المرأة و الأسرة، و حول الرغبة و الحاجة و أنماط الاستهلاك في الذوق و المأكل و الملبس، إلى توحيد طريقة (7)،(أحمد بن نعمان ، 1995.ص 24)

إن العولمة منهج تربوي أميركي الشكل والمضمون وفي ظل العولمة تعدد المصادر والأدوات المعرفية وعلى المتعلم أن يهيئ عقله لتقبل هذه المعارف وتتألف المعرفة وأساليبها في المستقبل من الأبعاد التالية:

1- تكوين الإنسان الكلي وهو ما تؤدي إليه العملية التعليمية من إظهار و إيضاح قدرات واستعدادات المتعلم الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية.

2- الشمولية في المعرفة: ويقصد بها معرفة المضامين والمفاهيم للمعارف الإنسانية التي تتألف من التربية الروحية والأخلاقية واللغات والتربية الاجتماعية والتربية التقنية، ويتطلب الشمول المعرفي التركيز على قيمة كل نظام معرفي ومناهجه العلمية التي يتم وضعها من مقررات التعليم وضده المفاهيم والمناهج العلمية والمنطقية التي تتضمنها تلك المقررات هي التي تكون العقلية المعرفية والنضوج العلمي لمعالجة مسائل الكون والحياة.

3- تنمية التفكير والقدرات العقلية: إن المعرفة في ضوء العولمة والمعلوماتية تهدف إلى نمو التفكير العلمي في كل اتجاهاته ومناهجه وآثاره والتنمية هي مفتاح التعامل العلمي مع الحياة وذلك لما تزخر به الحضارة من منجزات علمية وتكنولوجية.

4- توظيف الأساليب ومصادر المعرفة: فالعملية التربوية لا تهدف في ظل العولمة إلى حفظ المعلومات وتذكرها فقط ولكن العملية التعليمية تدور حول مهارات المعرفة العلمية في طرائق التدريس وإيصال المعلومة وانفعاله بها وفهمه وتساؤلاته ويستطيع أن ينظم ويفسر ويوظف المعلومات العقلية كالتصنيف والتبويب والتأمل والنقد واكتساب روح المغامرة واحتمال التجربة والخطأ وحل المشكلات ويعتمد التوظيف الفعال لإتقانه في التعلم والتعليم عبر

شبكات الانترنت على تأسيس صورة ذهنية علمية لمصادر المعرفة في محيط المدرسة والجامعة ودوائر البحوث العلمية.وللعولمة آثارها الثقافية والاجتماعية المدمرة لأنها تهمل الأبعاد الاجتماعية والإنسانية وزيادة التفكك الاجتماعي وهي تقوم على صياغة ثقافة عالمية واحدة هي" ثقافة السوق " ونحو الخصوصية الثقافية لشعب من الشعوب وقطع وصل الأجيال الحديثة بتراثها وجذور حضارتها وما فيها من التركيز حتى النجاح الفردي وجمع الثروة وإضعاف الثقافة الوطنية لان الدور العلمي للعولمة يتناول المشتركات في الحضارة العلمية ولا يهتم بخصوصيات الوطن والمجتمع، إن ثقافة العولمة قائمة على الغزو والفرض والضغط وهذا يمكن أن يؤدي إلى كارثة بفعل الهيمنة التي تقودها أميركا التي تؤدي إلى توحيد الثقافات في قالب واحد هو بكل المعاني كارثة إنسانية، إن التنوع الثقافي والتربوي هو دليل على قدرة الإنسان على التكيف مع الظروف والبيئات المختلفة، إن تحقيق الرفاه والتقدم والنمو لا يمكن بلوغه إلا بالمحافظة على التنوع المبدع وإثرائه وان ديمومة الجنس والنمو لا تتحقق إلا على أساس التنوع الثقافي، وقد يؤدي الفكر الأحادي للعولمة المهيمن اليوم والذي يستند إلى منطق السوق باعتباره المتحكم والمفسر لكل شيء وهذا الفكر يقودنا إلى عولمة ليبرالية تستند إلى ثلاث قواعد:

- سلطة السوق.
- سلطة المؤسسة الإنتاجية.
- سلطة رأس المال.

مع القاسم المشترك لهذه السلطات هو الربح وكمية المال المتحكم فيها وهذا التحكم يعتمد على القوة مع القانون فالضعيف هو المحروم من الكسب المالي وهو ينازع الكاسبين وهو المطالب بعدالة توزيع المكاسب على الدوام.

وطالما أن العولمة الليبرالية التي تعتمد على السوق ومنطق الربح و تشييئ كل الأشياء من البضاعة إلى الأدوات والأفكار لذا فلابد من الانتباه إلى أن المرافق والخدمات والمنتجات الثقافية لا يمكن اعتبارها من البضاعات الاستهلاكية للإنتاج الفكري بعدا يتحمل في طياته هوية وقيم ومعاني منتجيها وان الإنتاج يستهدف الفعل والروح لذلك لابد من حماية هذه الأبعاد خلال سياسة ثقافية محفزة للإبداع والتجديد ضمن حرية كاملة لتنقل الأفكار والأعمال والآثار الثقافية ،لا يمكن تطبيق قواعد التجارة على المنتجات الثقافية لأنها منتجات لها خصوصية تحمل في طياتها قيما رمزية وأفكارا وأنماط حياة تمثل هوية جماعية وبيئية حضارية معينة وتؤثر على التطبيقات والاستعمالات الثقافية لذلك ترى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الالكسو " أن قطاعي التربية الصحة من المرافق العمومية التي لا يجب أن يطالها منطقا الربح والسوق، لذلك أخضعت اتفاقيات المنظمة العالمية للتجارة والخدمات(GATS) قطاعي التعليم والصحة للخصخصة وترى منظمة الالكسو الانتباه إلى خطورة هذه الخصخصة وتحويل الأدوات التربوية والصحية إلى جملة من البضائع تتحكم فيها قوانين العرض والطلب جاعلين من الربح الهدف المنشود عوضا عن مساعدة البشرية للقضاء على الجهل والأمية والمرض لذلك تهدف العولمة ان تحظى الولايات المتحدة الأميركية بالسيادة على العالم لأنها تمتلك القوة والتقنية، والعولمة جزء مهم للهيمنة وتنميط الناس

وجعلهم منشغلين بالربح بدلا من الانشغال بالقيم النبيلة والقيم الإنسانية العليا، فمجتمع العولمة الرأسمالي يكرس أفكارا تربوية في عقول الأجيال ويؤكد على قيم الربح ومقدار ما يحقق الإنسان من إرباح فهي مصدر سعادته ونجاحه حتى تصبح ظاهرة الربح ظاهرة سلوكية لا يمكن الفرار منها. فنماذج السلوك والثقافة الأميركية يخترق التربية ويستغل العلم والمعلومات والتقنيات الحديثة وأجهزة الإعلام من خلال الشركات العملاقة إلى فرض النمط التربوي الأميركي وأمركة مظاهر الحياة وسلوك الفرد وحتى التقاليد والألعاب والفنون ونمط الأكل والملبس والمسكن. (8)

http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/376.htm

وفي زمن الاستعمار يسعى الغرب دائماً إلى تغريب الدول التي يستعمرها .ومن أنواع التغريب التي مورست على تلك البلاد المستعمرة الاستشراق ، والتنصير ووسائل الإعلام ، والبعثات الدراسية. ونتيجة لضعف العالم الثالث ، والعالم الإسلامي سخر الغرب وسائل الإعلام المتطورة لتبث أفكاره في هذه البلاد المستضعفة ، ومع عدم القدرة على البث المضاد تحول هذا الفخ الثقافي إلى تمرد ثقافي تطور عبر الوسائل ، وعبر التاريخ إلى ظهور العولمة الثقافية التي نشهدها اليوم (9) (د . ناصر الدين الأسد 1997 ، ص 85).، إن الثقافة الغربية تخفي في أعماقها غايات من التوسع والغزو والسيطرة، بينما لم تكن الثقافة الإسلامية في يوم من الأيام ثقافة أمة غازية متطلعة إلى السيطرة ، ولو كانت كذلك ما انتقلت عواصم الثقافة الإسلامية من المدينة ومكة إلى دمشق وبغداد والقاهرة وفاس والأندلس الخ ..(10) (فتحي يكن ، ص 36) ، ومن أمثلة الخطر الثقافي الأمريكي أنه يوجد الآن في العالم ما

يقرب من 600 لغة ولهجة لكن 90% من برامج الإنترنت تبث بالإنجليزية مما يؤدي إلى تهميش اللغات الحية الأخرى ، وهذا ما دعا الرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى الدعوة إلى إقامة تحالف بين الدول التي لغاتها ذات أصل لاتيني للتصدي لهيمنة اللغة الإنجليزية ، ولهذا السبب أنشئت الوكالة الفرانكفونية، والمنظمة الدولية للفرانكفونية.(11) (د . إبراهيم بن ناصر الناصر، ص 123)، ومن عبارات فوكوياما في هذا المعنى " إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية. فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد، وتتميز حضارة الغرب بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية، وتدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وإلى التعددية والحرية الفردية. إن التحديث والنمو الاقتصادي لا يحققان التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية بل يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب. لذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة ". (12) (د . عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، 1998م ، ص 20).و إذا ما نظرنا إلى الواقع العالمي، نجد أن كل دولة لها صراعاتها، والمفروض، أنّ على كل دولة تكييف وبرمجة المواد التعليمية على هذا الأساس. نجد أنّ الجزائر واحدة من الدول التي تحاول التقدم، وهي جزء لا يتجزأ من هذا العالم، تتأثر بما يحدث في جنباته المترامية، كما أنّها تأثر في هذه الأحداث. وبالتالي يجب فهم ما يحدث في العالم، وما ينتظر شبابنا من توقعات تؤثر في مسيرة حياته، في محاولة لتوضيح انعكاس هذه التحديات على التربية بوجه عام، وعلى مناهج التعليم بوجه خاص، نجد هناك مجموعة من التحديات أهمها:

5 – التحديات العلمية والتكنولوجية:

إن أهم خصائص القرن الحادي والعشرين أنه عصر الثورة التكنولوجية الثالثة، عصر التغيير السريع والمتسارع، عصر الانفتاح الثقافي والإعلامي، عصر تغيرت فيه كل مفاهيم القوة وعلاقات الإنتاج .إن الثورة التكنولوجية الثالثة تعتمد على الاستخدام <الأمثل للمعلومات الغزيرة والمتدفقة في جميع المجالات ويقدر خبراء الدراسات المستقبلية أن حجم المعرفة العلمية سيتضاعف كل سبع سنوات .(13) (المرجع السابق، ص74.)

وتعتمد هذه الثورة التكنولوجية الثالثة أساسا على العقل البشري، وقدراته في استخدام وتشغيل الأجهزة الإلكترونية، وتطويرها، وتخزين المعلومات، وتنظيمها والاستفادة منها، ولأن العقل البشري هو أساس هذه الثورة فإن<السبق والتقدم لن يكون حكرا على الدول الغنية بمواردها المادية، أو القوية بجيوشها التقليدية، ولكنها فرصة لجميع الشعوب، إذا ما أحسنت إعداد أبنائها، وبناتها تربويا وتعليميا، واهتمت بتربية قدراتهم العقلية والفكرية. (14) (المرجع السابق، ص 74.)

هذا يعني أن السبق سيكون من نصيب الدول التي تهتم أساسا بالتنمية البشرية، التي تقوم أساسا على تكوين الأفراد وتنمية قدراتهم العقلية وتربيتهم، وجعلهم يتقبلون كل جديد بعقل واع ومتفتح، وناقد وإجادة اتخاذ القرار. وهذا لا يأتي إلى إذا عملت المناهج وأساليب التربية والتعليم على تسليح الأفراد بنوع من التفكير والمعرفة، سيساعدهم على ذلك، وهذا يتطلب تعليم الأفراد كيف يعلمون أنفسهم، وهذا هو الإنسان القادر الذي سيجد له مكانا في القرن الجديد.

6– التحديات الاقتصادية:

إنّ متطلبات العولمة، خلقت صناعات هائلة، وطرحت معايير جديدة للقوة الإنتاجية والاقتصادية، دفعت بالدول إلى التنافس الاقتصادي في المجال الدولي، كما يلاحظ أن هناك اتجاها قويا لإنشاء تكتلات اقتصادية، وإيجاد الأسواق الكبيرة مثل مشروع أوروبا الموحدة، وجماعة الباسيفيك الاقتصادية، والمنطقة التجارية الحرة التي تجمع بين الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والمكسيك، ونتج عن ذلك <<ثغرة اقتصادية واضحة بين دول الشمال، ودول الجنوب، يطلق عليها البعض (الحرب الاقتصادية)،والتي تؤدي إلى أن أهل الشمال يزدادون ثراء وبسرعة، وأهل الجنوب يزدادون فقرا وبسرعة . (15) (المرجع السابق، ص74.)

وعلى هذا الأساس تم إنشاء منظمة التجارة العالمية . W .T O في أول يناير1995، والتي تسمح بحرية التجارة الدولية، ولا تفرض قيودا على ذلك فبدأ كل تكتل اقتصادي العمل على حماية الإنتاج الإقليمي، ومنها حماية الدول الأعضاء ضمن هذه التكتلات وهذا من شأنه تشكيل خطورة على الإنتاج العربي ومنه الجزائري. ويحدث كل هذا في ظل غياب أي تكتل اقتصادي عربي أو وجود شركات عربية كبرى اقتصاديا بإمكانها الوقوف تجاه هذه الظواهر الاقتصادية الدولية. وهنا نتساءل: كيف يمكن للنظام التربوي والتعليمي في الجزائر أن يتصدى لحل هذه المشكلات، وأن تساير هذه التحركات الاقتصادية في العالم؟

إن التحدي الأساسي أمام المناهج الدراسية اليوم هو إيجاد طرق، وخطط، وبرامج تعليمية، تستطيع أن تحول المعلومات المدرسية إلى كفاءات ومهارات عملية، وتنمية قيمة العمل واحترامه، والقدرة على حل المشكلات وتنمية الفكر. وبالتالي فوظيفة التربية هي مساعدة الفرد على امتلاك روح المبادرة، والثقة بالنفس، التي تساهم في نجاحه عمليا، ولهذا يجب " على المدارس أن تنتج منتجين للعمل، بدلا من أن تنتج طالبي عمل، ولعل الآخذ بهذا الاتجاه هو مفتاح حل مشكلات البطالة في عصرنا، ومفتاح التنمية الاقتصادية كلها"

. (16) (المرجع السابق، ص74) وهكذا فالتربية تساهم في خلق ثروة بشرية فعالة قادرة على أن تلعب دورا كبيرا في التنمية، فأساس المدرسة هو تخريج طلاب يملكون الرغبة والقدرة والاستعداد للتعلم المستمر.

7 – التحديات الثقافية والاجتماعية:

إن تغيرات العولمة المتسارعة، من شأنها تغيير القيم والعلاقات الاجتماعية، والحياة الثقافية بشكل كبير، من جيل إلى آخر، وحتى في حياة الجيل الواحد، ولن يقتصر التغيير على وطن واحد، وإنما سيتحداه إلى باقي الدول، بفضل سرعة الاتصال "ولا تستطيع أي دولة بما تملكه من وسائل الرقابة التقليدية أن تمنع هذا التدفق، كما لا تستطيع أن تحصن الأفراد ضدّ استقبال محتويات الرسائل الإعلامية والثقافية الوافدة من مجتمعات أخرى" (17) (المرجع السابق، ص74.)

والمجتمع الجزائري على غرار باقي المجتمعات، تحكمه مجموعة من النظم السياسية، والاقتصادية، والتشريعية، والثقافية، والطبيعية، والأسرية...'لخ وتتعرض العلاقات الاجتماعية للإفراد داخل المجتمع لعوامل ومؤثرات داخلية وخارجية، تؤثر على طبيعة العلاقات، حيث تحول العالم إلى قرية كبيرة بفضل عوامل الاتصال، وسرعة الانتقال، ومن أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في التنمية والتطور<< :معدلات النمو السكاني، وشكل وبنية الأسرة وأدوارها والتركيبة العمرية لأفراد المجتمع، ونوعية القيم الاجتماعية السائدة (18) (المرجع السابق، ص74.)

إن مشكلة التزايد في الظاهرة السكانية في العالم عموما، وفي الوطن العربي بشكل خاص، وفي الجزائر كذلك، تجعل معدل النمو السكاني يتفوق على معدلات التنمية، وهذا التزايد سيلتهم الموارد، ويضعف النمو الاقتصادي، ويخفض من مستوى الخدمات، وعلى هذا

الأساس، ينخفض مستوى التعليم ويتدهور. ومن أهم التحديات الاجتماعية التي سنوجهها في السنوات المقبلة هو التغيير الواضح في منظومة القيم في المجتمعات الصناعية المتقدمة، و تأثير ذلك على منظومة، القيم في المجتمعات النامية، بين الآخذ بهذه القيم الوافدة، ورفضها، افتقدنا هويتنا وضيعنا معالم الطريق. أمّا بالنسبة للتحديات الثقافية التي سنوجهها مستقبلا بل بدأنا معايشتها فعليا، حيث نواجه تحدي ثقافي غربي كبير حيث أنّ الثقافة ليست شيئا يصنعه الإنسان فحسب، ولكنها هي التي تصنع الإنسان نفسه (19) (المرجع السابق، ص74.)

وعليه فالثقافة هي التي تصنع المجتمع، والمجتمع المتخلف هو مجتمع ثقافته متخلفة، وما نلحظه أن ثقافتنا العربية في حالة تفسخ، وتميع، وتضارب وهي لم تصل بعد إلى خلق وحدة قومية لنظامها الثقافي، وبالتالي: كيف يمكن للتربية والتعليم من خلال المناهج الدراسية أن تتصدي لجميع هذه التحديات، وكيف لها أن تضمن مواكبة المجتمع الجزائري للركب الحضاري العالمي المعاصر ؟ومن هنا تلعب المدرسة دورا كبيرا على المستوى الثقافي حيث تجمع بين الموروث التراثي، والحاضر المعاصر مع نقد وتحليل الثقافات الوافدة، وإثارة الوعي لدي المواطن بضرورة المشاركة في صنع الحضارة العالمية في إطار من الديموقراطية والتفاهم، والتعاون، والسلام العالمي.

8 – التحديات البيئية والصحيّة:

إنّ مشكلة التردي البيئي من أهم المشكلات المعاصرة، التي يواجهها العالم بأسره، والجزائر بدورها تعاني من مشكلة التلوث البيئي، فانتشار التلوث هو مشكلة عالمية، ومن أسبابه التزايد السكاني، والاستغلال الغير معقول للطبيعة، وزيادة النفايات، وسوء تصريفها، وكذلك الاستخدام غير المنظم للمواد الكيميائية الضارة، ووقوع الحوادث الصناعية...إلخ. وجميع

هذه العوامل ساهمت في التلوث البيئي سواء كان مائي أو بري أو جوي، إضافة إلى ظاهرة الجفاف والتصحر التي تهدد المساحات الخضراء. فالأحرى بنا إقامة توعية بشرية تجاه النظام البيئي، للحد من هذه المشاكل التي تنعكس حتما على حياة الإنسان ومن أجل هذا يجب أن توفر مناهج التربية والتعليم المعلومات تعمل على نشر الوعي الكافي، وتنمية القدرات والبواعث، التي تجعل الفرد يساهم في الحفاظ على البيئة. وفي هذا المجال عملت الجزائر على إنجاز السد الأخضر للحد من التصحر، ولكن لابد من التوعية الشاملة بهذا الصدد.

وفي مجال التحديات الصحية فقد ساد شعار الصحة للجميع، تلك الصحة الشاملة التي تسهم فيها وتعززها التربية للجميع(20)المرجع السابق، ص74 .فلابد من الصحة من أجل التعليم. والصحة بدورها هي مسؤولية جماعية لمؤسسات متعددة مثل الأسرة والمجتمع والمدرسة، ولابد من الاتحاد بين هذه الأطراف من أجل ضمان الصحة، وعليه يجب برمجة برامج صحية موجهة للأسرة، من أجل التوعية، وتجنب الأمراض، ثم يأتي دور المناهج الدراسية لتوعية الأطفال، وتعريفهم بالقيمة الصحية. ومما سبق، نلاحظ أن هدف التربية ومادتها لابد أن يكون التنمية البشرية، حيث أن الإنسان هو المنوط بمواجهة تحديات المستقبل، و العمل على توجيهها، بما فيه مصلحة له و لوطنه. وبالتالي يجب على الجزائر أن تجعل لنفسها مكانة بين الدول وهذا طبعا لا يأتي إلا من خلال برمجة التربية والتعليم وفق متطلبات العولمة، التي أصبحت مرهونة بمدي تكوين شخصية الفرد، وتنميتها تنمية واعية قادرة على صنع فرد منتج، من شأنه تطوير الوطن، فرد ينتمي إلى بلد متطور,

*الحلول اللازمة لتطوير التربية والتعليم في الجزائر لمواجهة تحديات العولمة:باختصار يمكننا القول بأنه ينبغي أن تستند على الثقافة الداخلية الخاصة بالبلد وتقاليده وموارده الطبيعية وقيمه السياسية والمرحلة التاريخية لتنميته ، بمعنى أن المنابع الفكرية لهذه التنمية ، ينبغي أن تكون هي الحضارة العربية الإسلامية، لإبراز الهوية الحضارية العربية . الإسلامية وتنميتها

والمحافظة عليها ، وبوصف الثقافة مستودع الأصالة تستلهم التراث ، الذي يجب أن يكون واقعاً متفاعلاً، لا ماضيا متحجراً، وقوة دفع لا قوة جذب ومصدر ثقة لا نموذج تقليد. كما أن الوقوف على أرض التراث العربي الإسلامي لا يعني الانغلاق بوجه بقية الحضارات ، بل يعني أساساً التصدي لمشاكل التنمية العربية من خلال منطقها الداخلي الخاص وليس من خلال تبني حلول جاهزة وضعت لمجتمعات غير مجتمعنا(21) (.عبد الالة بلقريز، 1998 ، ص 99-91)

و هناك مجموعة من الحلول الممكنة لتطوير التربية والتعليم، وجعلها أكثر تطور لمواجهات تحديات العصر بشتى أنواعها، وتكمن فيما يلي:

.1ضرورة وضع مخطط تربوي شامل، يتماشى ومتطلبات العصر ويحتوي على استراتيجيات معاصرة من شأنها خلق تنمية بشرية.

2 – يجب الانتقال من الكم إلى الكيف+

6،ومحاولة المقاربة بينهما.

3 – الانتقال من المحلية إلى العالمية، بمعنى تجهيز فرد جزائري بمميزات عقلية عالمية.

4- التركيز على فكرة رأس المال البشري والثقافي، فالإنسان المثقف يعتبر ثروة اجتماعية من شأنها تطوير المجتمع.

5 – التخلص من الطرق التقليدية التعليمية ومحاولة وضع طرق جديدة تتماشي وروح العصر.

6- يجب التركيز على الجانب الذاتي في التخطيط المعاصر.

7- التعبئة و الاستعداد الكامل المبني على أسلوب المواجهة ، المبني على الاعتقاد و الإيمان و على الحضارة و الرصيد العلمي(22)– محمد بن سمينة ، العولمة و أثرها على الثقافة

الاسلامية في الجزائر ، مجلة الثقافة الاسلامية ، السنة الثانية ، ع 2 ،2006 ،ص 09، و التاريخي للنهوض بالهوية الثقافية.

8- يرى الدكتور الجابري:" أن البديل هو الدفاع عن الهوية الثقافية و مقاومة الغزو بالعقلانية وبالديمقراطية بإعادة الاعتبار للهوية الوطنية ، و تنشيط عناصر الهوية في النسيج المجتمعي لأنها تساهم في معرفة التطور الحاصل بإدراك و وعي".(23). م (حمد فاضل رضوان على الموقع ، www . qattanfoundation.org.)

9 – حاجة المخطط التربوي لأن يكون على وعي تام بفلسفة لنظام واضح المعالم، لكي يعيش المناخ الذي يحياه كل من (المعلم والتلميذ ومدير المدرسة وولي الأمر) من جهة، و(مديري التربية و المسؤولين بالوزارة) من جهة أخرى، بحثا عن بيئة تربوية جديدة يحيا فيها مهندس الإنتاج (معلم) بمصانعنا التربوية نحو الابتكار والتجديد، لخلق رأس مال بشري جزائري قادر على مواجهة تحديات العصر.

الخاتمة:

كان هذا باختصار عرض وجيز عن التربية والتعليم في الجزائر ورهانات العولمة، حاولت من خلاله إعطاء صورة عن واقع التربية والتعليم في الجزائر، وعرض أهم رهانات العولمة وتحديات العصر، التي بموجبها يجب تطوير التربية والتعليم من أجل خلق شريحة متعلمة تعليما معاصرا بإمكانها مواجهة التحديات الراهنة والمضي قدما بالجزائر لجعلها تواكب الركب الحضاري العالمي.

وتؤثر ظاهرة العولمة في المجال التربوي في عدم التعامل مع الغيبيات وما تؤكد عليه الأديان لأن العولمة ترى أن الغيب لا يقوم على تفكير مادي، وتكرس العولمة الفوارق الكبيرة بين الدول الغنية والدول الفقيرة والنامية وتؤدي إلى زيادة البطالة والحروب والتكتلات الاقتصادية وسيطرة الاتجاهات النفعية وانتشار الأمية وكذلك تؤدي إلى ضعف الفلسفة التربوية والأهداف لكل امة وبلد معين لان له خصوصيته وفلسفته وهكذا فأثار العولمة في الجانب التربوي والتعليمي هي من اخطر سلبيات العولمة في المجال العربي الإسلام.

المراجع :

1 – دندش فايز مراد: معني التعلم وكنهه من خلال نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1 2003،

2 – زيتون حسن حسين: التدريس– رؤية في طبيعة المفهوم، عالم الكتب، القاهرة،ط1 1997،

3– دندش: فايز مراد معنى التعلم وكنهه من خلال نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية،.

4 – كوجك كوثر: اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس– التطبيقات في مجال التربية الأسرية(الاقتصاد المنزلي)،عالم الكتب،القاهرة،ط2، 2001،

5 – د . الأسد ناصر الدين، العمل الثقافي العام والمتغيرات الدولية، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر. ط1، 1997

6 – يكن فتحي ، و طنبور رامز ، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2001م

7 – د . بن ناصر الناصر إبراهيم، العولمة مقاومة واستثمار، مجلة البيان، العدد 167، السنة 2016 .

8 – ، د . بن عثمان التويجري عبدالعزيز مجلة الإسلام اليوم ، العدد 15 ، السنة 18 ، 1998م

9 – **بن نعمان أحمد: الهوية الوطنية – الحقائق و المغالطات، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1995.**

10 – بلقريز " عبد الالة، العولمة والهوية الثقافية " مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،العدد 229 ، 1998/3

11 – د – بن سمينة محمد ، العولمة و أثرها على الثقافة الاسلامية في الجزائر ، مجلة الثقافة الاسلامية ، السنة الثانية ، ع 2 ،2006

12 – فاضل رضوان محمد ، نحن و العولمة ، مأزق مفهوم محنة هوية ، علة الموقع ، www . qattanfoundation.org

http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/376.htm -13-12-03 – 2018 – 21h-30